

المثقفون السعوديون: مبادرة التفرغ الثقافي غامضة وبلا ملامح

حلم المبدعين حولته وزارة الثقافة السعودية إلى مبادرة لكن تحقيقها ليس سهلا



التفرغ يحتاج إلى شروط واضحة (لوحة للفنان سعد يكن)

سابقة في مجاله الإبداعي، أي سبق وأن طبع ونشر. وتختتم الدفق حديثها بالقول "يجدر بالمبادرة أن تقدر المزاج الإبداعي الذي قد يتعرض لأنماط من التغيير، فيحتاج إلى محطات توقف ليتجدد وليعاود الانطلاق، فلا تحاول المبادرة الضغط على المبدع مراعية ظروفه الإبداعية التي لا يملك حق استحضارها وتوجيهها بمدى محددة، فهي ليست زرا تقنيا تظهر استجابته بعد الأوامر مباشرة، فالمرونة في التعامل مع مثل هذه الحالات المزاجية الإبداعية ضرورة واحتياج إنساني بحت".

التقرير الوظيفي، وعدم طلب تصور مفصل عن المشروع الإبداعي، لأنه -بحسب رأيها- لو تغير ستم محاسبة المتفرغ إبداعيا إذا خالف مشروعه لتصوراته التي تتفق مع المبادرة عند إنجازها من بعد. كما اقترحت الدفق أن تقاس الفرص المتاحة بحسب تواجد المبدعين في المحافظة، وليس بحسب مساحة المحافظة التي يحصل ترشح المبدعين منها.

تقول الدفق "من الأجدى لإنجاح المبادرة أن يكون المبدع قد بدأ في الانتغال على مشروعه الإبداعي مثلا، ولعل الأكثر فائدة في البداية أن تتم إتاحة فرصة التفرغ لمن يمتلك تجربة

توضيحات للعلن عن تلك المبادرة، ولذلك فنحن نتحدث عن شيء غامض، ونحاول أن نتخيل له ملامح وجهه المناسبة".

وتضيف الدفق "إن المبادرة بذاتها مهمة وستنتج إذا ما ابتعدت عن مثلية العلاقات الشخصية، ولم تاكل لحمتها الوساطات، وكانت من حق من يستحق فحسب. وتبعاً لذلك فإنني أرى أنه من الضروري ألا يتدخل المسؤولون في الجهات الحكومية في الأنظمة التفرغ نفسها، أقصد تلك التي ترتبط بلوائح الأنظمة الوظيفية بسبب جهل معظمهم للعملية الإبداعية نفسها واحتياجاتها". وتقتصر الدفق على فرض قوانين صارمة على الترشيح للتفرغ حسب

منذ زمن طويل، فالعمل في غير الحقل الثقافي بالنسبة للمبدع يعد مضيعة للوقت وإهدارا للطاقة، وغالبا ما تكون الوظيفة للمثقف عائقا عن ممارسة دوره".

ويضيف "أذكر أنني كنت أكتب عند إشارة المرور في طريقي إلى العمل غير الثقافي، فلا بد أن توفي بشروط الوظيفة لكي لا تجد نفسك بلا عمل، وقد كنت أحتفظ بأوراقتي إلى جوارتي لكي أكتب ما يأتي منسجما مع مشروع سياتي الكتابي، والوظائف وأماكن العمل غير الثقافية ترفض المبدع وتعتبره مجرد تكملة عدد، وقد ينظر إليه نظرة غير دقيقة وغير منصفة، ويتم التشديد عليه بالذات في مسألة الحضور والغياب والتأخير والسفر".

ويختتم حديثه بالقول "خطوة وزارة الثقافة يجب أن تحسم جدلا وهاجسا كنا نحلم به من سنوات طويلة، وتجربنا سرارات وخيبات الوظيفة خارج الفضاء الثقافي، ونصرف ما نحصل عليه من مردود مالي على منجزنا الثقافي، ولكن لا بد أيضا أن يكون هذا التفرغ محسوبا بدقة، ولا يمنح إلا لأصحاب المشاريع الثقافية الناضجة، ولا يخضع لأي محسوبة".

ويتفق الناقد مبارك الخالدي مع رأي الدوحي في أن التفرغ مطلب ثقافي هام، ويرى أنه لا يختلف اثنان على أهميته والحاجة الملحة إليه. ويتوقع أن العمل في قطاعه لن يكون سهلا، ولن ينال رضا البعض في المشهد الثقافي. لهذا يذهب الخالدي إلى أن أداءه ينبغي أن يتميز بدقة الأنظمة والضوابط واليات المتابعة. ويضيف "إن إعداد اللائحة يأتي بعد التحديد الدقيق للمجالات، إذ لا أتصور وضع لائحة قبل رسم حدود ما يراد منها تنظيمه. وهي اللائحة الأم للضوابط والشروط العامة، تتولد منها لوائح فرعية حسب المجالات، لأن الاختلاف المجالات يترتب عليه اختلاف الأنظمة والضوابط، فشرط التفرغ لإنجاز مشروع سينمائي مثلا، ستختلف إلى حد طويل. ويقول "عليها أن نتطرق من رؤى المبدعين، ومن تطلعاتهم دون أن نتقيدهم بمنصة التفرغ، وكأنها الأب وهم الأولاد؛ فالمدع ابن البلد، وهو أدرى بمشروعه وليس للوزارة غير دعمه غير تفرغه لإنجاز جزء من حلمه المتواصل".

ويؤكد الملبحان أنه على وزارة الثقافة وهي الراعي والإداة لهذه المبادرة أن تكرم الإبداع الذي حلم المبدعون بدعمه طويلا. ويقول "عليها أن تتطرق من رؤى المبدعين، ومن تطلعاتهم دون أن نتقيدهم بمنصة التفرغ، وكأنها الأب وهم الأولاد؛ فالمدع ابن البلد، وهو أدرى بمشروعه وليس للوزارة غير دعمه غير تفرغه لإنجاز جزء من حلمه المتواصل".

المزاج الإبداعي

في هذا الشأن تقول الشاعرة هدى الدفق "كنت قد كتبت في أكثر من صحيفة سعودية خلال السبع سنوات الفائتة عن موضوع التفرغ الإبداعي، كما كتبت إلى وزارة الثقافة والإعلام، وأرقت مع خطابي شرحا لألية التفرغ الإبداعي المقترحة، وربما كان ما سنقترحه حاليا عشوائيا، خاصة وأن المبادرة ما زالت لغزا غامضا فلم تنشر بنودها وشروطها وأنظمتها وإمكاناتها، ولم تظهر بعد أي

ما هو رأي المثقفين السعوديين في مبادرة الوزارة الخاصة بالتفرغ الثقافي، وما هي الآلية التي يجب أن تتخذها في اختيار المبدعين؟ وهل ستكون الاختيارات عادلة وتنم عن فهم ومعرفة بالمنجز الثقافي وأهميته، أم أن الوزارة ستقع -شأنها شأن مؤسسات أخرى- في فخ المحاباة ومؤاخذات القبلية، ثم ما هي طبيعة اللائحة التنظيمية لهذه المبادرة، ومن سيضعها؟ وكيف سيتجاوزون فيها أخطاء اللوائح التنظيمية التي وقعت فيها الأندية الأدبية، والتي عانى منها المثقفون خلال العقود السابقة؟ كل هذه الأسئلة تناقشها "العرب" في هذا الاستطلاع مع نخبة من المثقفين السعوديين.

وتتخبط بأعشن عن إبداء الرأي في هذا الأمر حتى تظهر له ملامح، وتقول "مع احترامي لوجهة النظر، لكني أظن أن الوزارة هي صاحبة الشأن، ولا بد أن لديها تصورا ما، وقد تركت لنا مسألتين في طور التكوين الأولي، وهو وضع غير قابل للتقييم أو الإضافة أو حتى التوقع".

وفي الشأن نفسه يقول القاص جبير الملبحان "وزارة الثقافة للثقافة، وليست لطيف المثقفين الواسع، والثقافة تختص هنا في رأيي -بحقول الإبداع الأدبي والفني- أي أن الثقافة عمل إبداعي محض، والأدب أو الفنان حر في تشكيل إبداعه، لذلك فإن مبادرة التفرغ من حقوقه التي تساعد على الإبداع، بعيدا عن روابط العمل التي تاكل وقته وتنهكه. وإذا اتوقع أن تعلن مسودات نظام هذه المبادرة ليناقدش الأدباء والفنانين نظامها، وضوابط هذا النظام بما يعزز من دور الإبداع فقط، بعيدا عن الشخصنة والشكليات، وانطلاقا من تاصيل المحتوى الدائمي وتعميقه، ونشره في المجتمع".

ويضيف الملبحان "إن تهئية الطاقم الإداري لسير هذه المبادرة ونجاحها يتطلب اختيار العناصر الإدارية المستوعبة للحراك الثقافي الأدبي والفني في بلادنا، بعيدا عن شركاء البيروقراطية وصناديق الروتين".

ويؤكد الملبحان أنه على وزارة الثقافة وهي الراعي والإداة لهذه المبادرة أن تكرم الإبداع الذي حلم المبدعون بدعمه طويلا. ويقول "عليها أن تتطرق من رؤى المبدعين، ومن تطلعاتهم دون أن نتقيدهم بمنصة التفرغ، وكأنها الأب وهم الأولاد؛ فالمدع ابن البلد، وهو أدرى بمشروعه وليس للوزارة غير دعمه غير تفرغه لإنجاز جزء من حلمه المتواصل".

يقول "قد سبقتنا إليها دول أقل منا إمكانات بشرية واقتصادية، وقد كنا نحتاج إلى مثل هذه المبادرة في المملكة



زكي الصدير
كاتب سعودي

مع إطلاق وزارة الثقافة السعودية لمبادراتها في مارس الماضي، أفاد وزير الثقافة السعودي الأمير بدر بن عبدالله آل سعود بأن الجميع يعمل على منح المثقف والمبدع -سواء كان مستقلا أو بالاشتراك مع غيره- تفرغا ثقافيا لمدة محددة، بغرض إنجاز مشروع ثقافي في أحد المجالات الثقافية التي تحددها اللائحة التنظيمية.

وأكد الوزير على أن الوزارة من خلال هذه المبادرة تدعم الحركة الثقافية والإبداعية في مجالات الآداب والفنون والدراسات الإنسانية وغيرها، إضافة إلى رعاية المبدع السعودي بمنحه الفرصة الكاملة لمواصلة الإنتاج والتميز. وكانت الوزارة قد أوضحت في وقت سابق بأنها تعمل مع الجهات ذات العلاقة على إصدار ومواءمة الأنظمة بما يحقق أهداف الوزارة الرئيسية.

تفرغ غير مشروع

يذهب بعض المثقفين السعوديين إلى أن المبادرة مهمة، لكن الوقت ما زال مبكرا للحديث عن المبررات وإصدار الأحكام، حيث إنها لا تزال غامضة.

المبادرة في حد ذاتها مهمة وستنتج إذا ما ابتعدت عن مثلية العلاقات الشخصية، ولم تاكل لحمتها الوساطات

تقول الناقدة لمياء باعشن في ردها على أسئلة "العرب" أن "المحور مهم، لكن المبادرة ما زالت غامضة. وكما يتضح من المحور فإنه يبحث عن أجوبة أكثر من طرح آراء، وكأننا نستقبل أكتامها بتوقعتنا ومطالبنا ومخاوفنا. حتى عندما تحدثت الوزارة المسؤولة عن المبادرة فإنها لم تعط أي تفاصيل أو رؤية شمولية للفكرة".

أي جدوى للمهرجانات الثقافية؟

وفنانون كبار من تونس، ومن البلدان العربية، ومن جميع أنحاء العالم. وكان مهرجان توزر للشعر يستقبل في خريف كل عام عندما تكون الواحات تعيش أجمل أوقاتها بعد نضج التمور، شعراء ونقادا مرموقين.

وقد يتردد شاعر آخر في مهرجانين في يوم واحد، ولا هدف له غير الحصول على المكافأة المادية. أما الشعر في مفهومه العميق فلا يعنيه لا من قريب ولا من بعيد.

وقد ازدادت أوضاع المهرجانات على مستوى التنظيم سوءا خلال السنوات الماضية، فلرعاية التشييط الثقافي في المناطق الداخلية التي تعاني من "التصحّر الثقافي"، وجدت وزارة الثقافة نفسها أحيانا مرغمة على تسليم إدارتها لمن لا دراية لهم بالتشيط الثقافي. وغالبا ما يكون هؤلاء منتهمين إلى واحد من هذه الأحزاب الكثيرة التي برزت في فترة ما يسمى بـ"الانتقال الديمقراطي"، أو من المتعاطفين معها بطريقة أنتهازية.

ومعنى ذلك أن إدارة المهرجانات أصبحت توكل إلى من يفتقرون إلى الخبرة، وإلى المعرفة بأدنى قواعد التنظيم والتشيط الثقافي والفني. وصحيح أن المهرجانات كانت في زمن بورقيبة، كما في زمن بن علي، تدار من قبل رموز الثقافة الرسمية المساندين للنظام القائم بحيث لا يجزؤون على الخروج عن أساليبه وقواعده. غير أن هؤلاء كانوا قادرين على جعل المهرجانات مناسبات احتفالية هامة يدعى إليها شعراء

القصاصد التي كانوا قد ألّفوها قبل سنة أو قبل سنتين، بل أن شاعرا ظل يعيد قراءة نفس القصيدة على مدى عقدين من الزمن. ولم يكف عن ذلك حتى عندما كان يجد نفسه وحيدا أمام الكراسي الفارغة.



شعراء يبحثون عن مظلة المهرجانات

أعضائها لكي تزداد أناهم المرضية انتفاخا وتورما. وغالبا ما يعزف الجمهور عن حضور مثل هذه المهرجانات لأن الشعراء المدعويين لها لا يملئون من تكرار نفس

وضيق النفس بما حدث له في توزر، أضاف الشاعر المغربي قائلا إن المهرجان كان "مهزلة باتم معنى الكلمة... وكان إهانة للشاعر أبي القاسم الشابي ابن توزر".

ولعله كان على حق إذ كيف يمكن أن يحمل مهرجان توزر صفة العالمية إذا ما كان أعضاء اللجنة المشرفة عليه لا يمتلكون أدنى معرفة لا بالشعر العربي، ولا بالشعر العالمي. وربما يكون هدفهم الوحيد من تنظيم هذا المهرجان هو إرضاء الوهم الذي يجعلهم يعتقدون أنهم شعراء في حين أن الشعر منهم براء.

ثم إن المهرجان مرّ في صمت إذ أن وسائل الإعلام التونسية لم تهتم به، ولم تتابع فعاليته بما يليق بصفته العالمية. وأنا على يقين أن لجنة المهرجان لم تكن ترغب في ذلك حفلا لمام الوجه، وتسترا على السلبيات والأخطاء الكثيرة التي ارتكبتها، وإخفاء لجهل أعضائها بمفهوم الشعر.

وأظن أن جل المهرجانات الشعرية التي تنتظم في تونس لا تختلف كثيرا عن مهرجان توزر. صحيح أن وزارة الثقافة رصدت مبالغ هامة لمثل هذه المهرجانات، إلا أن اللجان المشرفة عليها نفسها، وتحوّلها إلى وسيلة لتكديس أوام



حسنونة المصباحي
كاتب تونسي

شاعر مغربي دعى مؤخرا للحضور فعاليات مهرجان الشعر العالمي الذي ينتظم في خريف كل سنة في مدينة توزر جنوب تونس، مسقط رأس الشاعر الكبير أبي القاسم الشابي. وعند عودته، التقيت به في مقهى "لونيغير" بتونس العاصمة، فإذا بي أجد منفعلا وحزينا لأن المهرجان الشعري كان خاليا تماما من أي شيء يمت للشعر بصفة.

فقد دلت الأسميات الشعرية على أن جل الشعراء المدعويين من تونس، ومن بلدان عربية أخرى قرؤوا قصائد هزيلة عكست خواءهم المخجل على جميع المستويات. وكان هناك شعراء من إيطاليا لكن لجنة المهرجان لم تكلف نفسها ترجمة قصائدهم للتعريف بهم بشكل يليق بمهرجان له صفة "عالمية". وكان هناك ثلاثة شبان قدموا من مالي لكن اتضح أنهم ينتمون إلى فرقة دينية في بلادهم. وأما البحوث التي قدمت فقد افتقرت إلى أبسط مبادئ النقد، لذا جاءت شبيهة بمواضيع إنشائية مملّة وسطحية.

المهرجانات الشعرية خاصة

فقدت جمهورها وجدواها

وأهميتها، وباتت كئيبة وخالية

من المعنى والإثارة بسبب سوء

إدارتها

وعلى وقعه يعيش أهالي الجنوب الغربي، وأما وليالي سعيدة تنسيهم رتابة وفراغ بقية أيام السنة. أما اليوم، فقد أصبح المستفيدون من فوضى فترة "الانتقال الديمقراطي" هم المتحكمون في كل شيء بما في ذلك المهرجانات الثقافية والفنية من دون أن تكون لهم دراية بها. لذلك فقدت هذه المهرجانات جمهورها وجدواها وأهميتها، وباتت كئيبة وخالية من المعنى ومن الإثارة.